الإسلام دين الإخلاص (*)

إن الإخلاص سر بين العبد وربه، لا يطلع عليه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده ، وهو روحُ الطاعاتِ، وجوهرُ العباداتِ ، فالطاعةُ لا تقبل بدونِهِ جعله الله سبحانه وتعالى شرطا لقبول جميع الأعمال الصالحة ، ليس في العبادات فقط، بل في جميع الأعمال والأقوال.

والإسلام دين يحثّ أتباعه على الإخلاص، والابتعاد عن الرياء والسمعة، وحب النفس والشهرة ، والإخلاص معناه: أن يقصد الإنسان بقوله وعمله، وبحركاته وسكناته وجه الله تعالى وابتغاء مرضاته، من غير نظر إلى مغنم أو جاه أو مظهر أو شهرة أو اكتساب محمدة عند الناس ، أو محبة أو مدح من الخلق.

والإخلاص يكون لله ، وللوطن: **أما الإخلاص لله** ، فلا

---

*) د/ مسعد أحمد الشايب- باحث بالإدارة العامة لبحوث الدعوة.

نعبد إلا إياه، ولا نتوجه بالعبادة إلا له ، فلا نشرك معه أحدًا فيها، ولا نؤديها سمعة ورياء، ولا فخرا ومباهاة؛ وإنما نبتغي بها وجهه سبحانه وتعالى، فالقرآن يقول:{قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}[الأنعام: ١٦٢،١٦٣] ، ويقول أيضا:{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ}[البينة:٥].

والنبي (صلى الله عليه وسلم) حينما سأله رجل عن الخروج للجهاد بقصد الأجر والذكر (التحدث بشجاعته) قال: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنْ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ) (رواه النسائي)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) أيضا في الحديث القدسي الذي رواه عن ربّ العزة سبحانه وتعالى: (قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ) (رواه مسلم).

أما الإخلاص للوطن ، فلا نعمل إلا لرفعته وتقدمه ، ولا ننتمي إلا إليه، ولا نساعد أحدًا على هزيمته وكسره، ولا نفرط في ذرة رمل من أرضه ونحب أهله، ونسير خلف قيادته ، فالإخلاص للوطن يستلزم حب أرضه، وشعبه وحكومته ، وحب الوطن من كمال الإيمان كما علّمنا (صلى الله عليه وسلم)، فحينما هاجر (صلى الله عليه وسلم) هو وصحابته من مكة إلى المدينة - وطنهم الجديد - وكانت بها حمى شديدة ، وكانت قلوب الصحابة مازالت معلقة بمكة - وطنهم القديم - إذ بالنبي (صلى الله عليه وسلم) يدعو ربّه أن يحبب إلى صحابته وطنهم الجديد (المدينة المنورة) ، وأن يبارك لهم في زروعها وثمارها ومكيالها، وأن يصححها ويذهب عنها وباءها ، فيقول: (اللهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ ، اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَفِي مُدِّنَا وَصَحِّحْهَا لَنَا وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ) (رواه البخاري).

ولم يحثُّ الإسلام على الإخلاص لله وللوطن فحسب ،

بل دعا إلى الإخلاص في كافة مجالات الحياة ، فقد دعا إلى الإخلاص في العمل والإنتاج والبناء ، بمعنى إتقانه وإحسانه، والقرآن يدعو إلى ذلك فيقول:{وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}[التوبة:١٠٥]، والنبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ) (رواه أبو يعلى والطبراني).

وقد دعا الإسلام إلى الإخلاص في المحبة والتعامل مع المؤمنين بأن تكون محبتهم ومعاملتهم خالصة لله (عزّ وجلّ) لا لغرض ما ، ولا لمصلحة شخصية ، ومن الإخلاص في المحبة والتعامل النصح لهم ، فعن أبي مسلم الخولاني: قَالَ: (أَتَيْتُ مَسْجِدَ أَهْلِ دِمَشْقَ، فَإِذَا حَلْقَةٌ فِيهَا كُهُولٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وَإِذَا شَابٌّ فِيهِمْ أَكْحَلُ الْعَيْنِ بَرَّاقُ الثَّنَايَا كُلَّمَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ رَدُّوهُ إِلَى الْفَتَى، فَتًى شَابٌّ، قَالَ: قُلْتُ لِجَلِيسٍ لِي: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا

مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ قَالَ: فَجِئْتُ مِنَ الْعَشِيِّ فَلَمْ يَحْضُرُوا. قَالَ: فَغَدَوْتُ مِنَ الْغَدِ. قَالَ: فَلَمْ يَجِيئُوا فَرُحْتُ فَإِذَا أَنَا بِالشَّابِّ يُصَلِّي إِلَى سَارِيَةٍ، فَرَكَعْتُ، ثُمَّ تَحَوَّلْتُ إِلَيْهِ. قَالَ: فَسَلَّمَ فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ: إِنِّي لأُحِبُّكَ فِي اللهِ. قَالَ : فَمَدَّنِي إِلَيْهِ. قَالَ: كَيْفَ قُلْتَ؟ قُلْتُ: إِنِّي لأُحِبُّكَ فِي اللهِ. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: الْمُتَحَابُّونَ فِي اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ. قَالَ: فَخَرَجْتُ حَتَّى لَقِيتُ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ فَذَكَرْتُ لَهُ حَدِيثَ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ يَقُولُ: حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَحَابُّونَ فِي اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ) (رواه أحمد) ويقول: (صلى الله عليه وسلم): (الدِّينُ النَّصِيحَةُ). قلنا: لمن؟. قال: (لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ) (رواه مسلم).

ودعا الإسلام أتباعه إلى الإخلاص في طلب العلم سواء أكان دينيا أم دنيويا، فلا يتعلمونه للتكبر ولا للتجبر، ولا لطلب المال والجاه والسلطان، ولا ليماروا به العلماء، ولا يتعلمونه لمجادلة السفهاء، فالنبي (صلى الله عليه وسلم) يقول:(مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) يَعْنِي رِيحَهَا (رواه أبو داود)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) أيضا: (مَنْ طَلَبَ العِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ العُلَمَاءَ أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ) (رواه الترمذي) .

ودعا الإسلام أتباعه إلى الإخلاص في الدعاء، فحثّهم على الدعاء بقلب حاضر خاشع، غير لاهٍ ولا ساهٍ ولا غافل، فالنبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: (الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ، وَبَعْضُهَا أَوْعَى مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، أَيُّهَا النَّاسُ، فَاسْأَلُوهُ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ لِعَبْدٍ

دَعَاهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ غَافِلٍ) (رواه أحمد)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) أيضا: (إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى الْمَيِّتِ فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءِ) (رواه أبو داود وابن ماجه).

ودعا الإسلام إلى الإخلاص في التوكل على الله (عزّ وجلّ) وأنه لن يخيب ظنّ ولا رجاء من توكل عليه، فالنبيّ (صلى الله عليه وسلم) يقول عن ربه: (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً). (متفق عليه)، ويقول: (صلى الله عليه وسلم) أيضا: (...أن رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ فَقَالَ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، قَالَ: فَأْتِنِي بِالكَفِيلِ، قَالَ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَخَرَجَ فِي البَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ ثُمَّ

التَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا، فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى البَحْرِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلاَنًا أَلْفَ دِينَارٍ، فَسَأَلَنِي كَفِيلاَ، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، فَرَضِيَ بِكَ وَسَأَلَنِي شَهِيدًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا، فَرَمَى بِهَا فِي البَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ فَإِذَا بِالخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا المَالُ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ المَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، فَأَتَى بِالأَلْفِ دِينَارٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِآتِيَكَ بِمَالِكَ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ، قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ

الَّذِي جِئْتُ فِيهِ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الخَشَبَةِ، فَانْصَرِفْ بِالأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا) (رواه البخاري).

أما عن علامـــات الإخـــلاص فكثيرة ومتعددة:

❖ منها : عدم انتظار الثناء، والحمد من أحد، فالنبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: (إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا. قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ:كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ: جَرِىءٌ؛ فَقَدْ قِيلَ.ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِىَ فِى النَّارِ ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِىَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا. قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ. وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ. فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِىَ فِى النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِىَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا.

قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا. قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ. فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِىَ فِى النَّارِ) (رواه مسلم) .

❖ ومنها: إخفاء العبادة والطاعة، فالقرآن يثني على نبي الله زكريا (عليه السلام) لأنه دعا الله في الخفاء والسرّ فقال:{كهيعص*ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا}[مريم: ١- ٣]، ودعا الحق سبحانه وتعالى عباده المؤمنين إلى إخفاء العبادة والطاعة، فقال:{ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}[الأعراف:٥٥]، والنبي (صلى الله عليه وسلم) يقول في حديث السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله: (...وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ...) (متفق عليه)، وقال أبو التياح: (إِنْ كَانَ الرَّجُلُ يَتَعَبَّدُ عِشْرِينَ سَنَةً وَمَا يَعْلَمُ بِهِ جَارُهُ). (الإخلاص والنية لابن

أبي الدنيا)، وعن عيسى بن مريم (عليه السلام) قال: (إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلْيُدْهِنْ لِحْيَتَهُ، وَلَيَمْسَحْ شَفَتَيْهِ حَتَّى يَخْرُجَ إِلَى النَّاسِ فَيَقُولُوا: لَيْسَ بِصَائِمٍ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيُدْنِ عَلَيْهِ سِتْرَ بَابِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْسِمُ الثَّنَاءَ كَمَا يَقْسِمُ الرِّزْقَ، وَإِذَا أَعْطَى أَحَدُكُمْ فَلْيُعْطِ بِيَمِينِهِ، وَلْيُخْفِ مِنْ شِمَالِهِ) (شعب الإيمان).

❖ ومنها: الخوف ووجل القلب من عدم قبول العمل، فالقرآن يقول:{إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ*وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} [المومنون:٥٧-٦١]، وسألت السيدة عائشة (رضي الله عنها) النبيّ (صلى الله عليه وسلم) عن تلك الآية فقالت: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: (لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ،

وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ) (رواه الترمذي) .

❖ ومنها: احتقار النفس، وعدم اغترارها بالطاعة والعبادة، فعن ميمون بن مهران قال: (مَا أَقَلَّ أَكْيَاسَ النَّاسِ، لَا يُبْصِرُ الرَّجُلُ أَمْرَهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى النَّاسِ، وَإِلَى مَا أُمِرُوا بِهِ، وَإِلَى مَا قَدْ أَكَبُّوا عَلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: مَا هَؤُلَاءِ إِلَّا أَمْثَالُ الْأَبَاعِرِ الَّتِي لَا هَمَّ لَهَا إِلَّا مَا تَجْعَلُ فِي أَجْوَافِهَا حَتَّى إِذَا أَبْصَرَ غَفْلَتَهُمْ نَظَرَ إِلَى نَفْسِهِ فَقَالَ: وَاللهِ إِنِّي لَأَرَانِي مِنْ شَرِّهِمْ بَعِيرًا وَاحِدًا) (حلية الأولياء وابن المبارك في الزهد).